جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية.
قسم التاريخ:

المرحلة الثانية/ جغرافية.

السيرة النبوية:

عنوان المحاضرة:

المولد وأربعون عاماً قبل النبوة:

م. د. فارس عراك عبد معروف

٢٠٢٣/ ٢٠٢٤

المولد وأربعون عاماً قبل النبوة:

ولدَ سيد المرسلين ﷺ، بشعب بني هاشم بمكة في صبيحة يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، من عام حادثة الفيل، ولأربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان، ويوافق ذلك العشرين أو الثاني والعشرين من شهر أبريل سنة ٥٧١م. حسبما حققهُ العالم الكبير محمد سليمان المنصور فوري والمحقق الفلكي محمود باشا. وروى ابن سعد أن أم رسول الله ﷺ، قالت: لما ولدتهُ خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام، وروى أحمد والدارمي وغيرهما ما يقارب ذلك. ولما ولدتهُ أمهِ أرسلت إلى جدهِ عبد المطلب تبشرهُ بحفيدهِ، فجاء مستبشراً ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكر لهُ، واختار لهُ اسم محمد– وهذا الاسم لم يكن معروفاً في العرب أنا ذاك– وختنهُ يوم سابعهِ كما كان العرب يفعلون. وأول من أرضعتهُ من المراضع– بعد أمهِ ﷺ،– ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابن لها يقال لهُ مسروح، وكانت قد أرضعت قبلهُ حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعدهِ أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

في بني سعد:

وكانت العادة عند الحاضرين من العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم، ابتعاداً لهم عن أمراض الحواضر؛ لتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي في مهدهم، فالتمس عبد المطلب لرسول الله ﷺ، الرضعاء، واسترضع لهُ امرأة من بني سعد ابن بكر– وهي حليمة بنت أبي ذؤيب– وزوجها الحارث بن عبد العزى المكنى بأبي كبشة، من نفس القبيلة. وإخوتهِ ﷺ *هناك* من الرضاعة عبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وحذافة أو جذامة بنت الحارث «وهي الشيماء، لقب غلب على اسمها» وكانت تحضن رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ، وكان عمهُ حمزة بن عبد المطلب مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فأرضعت أمهُ رسول الله ﷺ، يوماً وهو عند أمهِ حليمة، فكان حمزة رضيع رسول الله ﷺ، من وجهين، من جهة ثويبة، ومن جهة السعدية. ورأت حليمة من بركتهِ ﷺ، ما قصّت منه العجب، ولنتركها تروي ذلك مفصلاً: قال ابن إسحاق: كانت حليمة تحدث: أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعهُ، في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء قالت: وذلك في سنة شهباء لم تبقِ لنا شيئاً، قالت: فخرجت على أتان لي قمراء، ومعنا شارف لنا، والله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا،

من بكائهُ من الجوع، وما في ثديي ما يغنيهِ، وما في شارفنا ما يغذيهِ، ولكن كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك فلقد أدمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ، فتأباه، إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنع أمهِ وجدهُ! فكنا نكرههُ لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلتُ لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فآخذنهُ. قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيهِ بركة. قالت: فذهبت إليه، فأخذتهُ، وما حملني على أخذهِ إلا أني لم أجد غيرهُ، قالت: فلما أخذتهُ رجعت بهِ إلى رحلي، فلما وضعتهُ في حجري أقبل عليهِ ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معهُ أخوهُ حتى روي، ثم نام، وما كنا ننام معهُ قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا هي حافل، فحلب منها ما شرب وشربت معهُ حتى انتهينا رياً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة! لقد أخذت نسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك، قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملتهُ عليها معي، فو الله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليهِ شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك! أربعي علينا، أليستّ هذهِ أتانك التي كنتِ خرجتِ عليها؟ فأقول لهنَّ: بلى والله! إنها لهي هي، فيُقلن: والله إن لها شأناً، قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا بهِ معنا شباعاً لبناً، فنحلب ونشرب، وما يُحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلتهِ وكان يشب شباباً لا يشبهُ الغلمان، فلم يبلغ سنتيهِ حتى كان غلاماً جفراً، قالت: فقدمنا به على أمهِ ونحن أحرص على مكثهُ فينا، لما كنا نرى من بركتهِ، فكلمنا أمهُ، وقُلت لها: لو تركتِ ابني عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليهِ وباء مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردتهُ معنا. وهكذا بقي رسول الله ﷺ، في بني سعد، حتى إذا كانت السنة الرابعة أو الخامسة من مولدهِ وقع حادث شق صدرهِ، روى مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ، أتاهُ جبريل، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذهُ فصرعهُ، فشق عن قلبهِ، فاستخرج القلب، فاستخرج منهُ علقة،

فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسلهُ في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمهُ، ثم أعادهَ إلى مكانهِ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمهِ، فقالوا: إن محمداً قد قُتل، فاستقبلوهُ وهو منتقع اللون.

إلى أمهِ الحنون:

وخشيت عليه حليمة بعد هذهِ الواقعة حتى ردتهُ إلى أمهِ، فكان عند أمهُ إلى أن بلغ ست سنين.

ورأت آمنة من باب الوفاء لذكرى زوجها الراحل ان تذهب لزيارة قبرهُ مع ابنها محمد فشدت الرحال وخرجت من مكة منطلقة باتجاه يثرب قاطعة رحلة تبلغ حوالي خمسمائة كيلو متراً، ومعها ولدها اليتيم– محمد ﷺ– وخادمتها أم أيمن، وصلت آمنة بنت وهب مع ابنها الى قبر زوجها عبدالله فوقف ابنها الصغير ونظر إلى قبر أبيه بحزن شديد وتخيلات تعصف مخيلتهِ عن شكلهِ ومواقفهَ ومدى حاجتهِ لهُ، فهو ولد يتيمًا وعاش طفولتهِ بدون أب، مكثوا قليلًا عند قبر عبدالله ثم أمرتهم آمنة بالرجوع إلى مكة بعد أن ادت واجب الزيارة الذي استغرقت شهراً..

وعند وصولهم للإبواء شعرت آمنه بتعب شديد ولكنها صبرت، وكانت متمسكة بيد أبنها ذات السادسة من عمرهِ، ومضت تصارع آلامها ونظراتها لا تفارق أبنها حتى تشبع روحها منهُ فهي شعرت أن هذا المرض لا شفاء منهُ وهي مجرد لحظات وستذهب روحها لخالقها فأرادت أشباع نظرها بابنها الصغير قبل الرحيل إلى الرفيق الاعلى..

استمر التعب بمحاصرة آمنة وهي صامدة حتى تمكن منها فسقطت على الارض وإذا بأم أيمن ترفعها وأبنها ينظر اليها بخوف والدموع بعينيهِ البريئة تقول أم أيمن: فما أن رفعتها إلا وهي ترفع كفيها وتضم محمد، وتقول له: {يابُني كل جديد بال، وكل آتٍ قريب، وكل حي ميت}..

توفيت آمنة بالأبواء سنة ٤٥ ق. هـ. بين مكة والمدينة والنبي ينظر لها وهي جثه والخوف والوحدة والحزن العظيم يجتاحوهُ من كل مكان، أم أيمن رأت حالتهُ وعجزهُ فأخذت تمسح على راسهِ لتصبرهُ، فقالت له ساعدني يا محمد لنحفر قبر أمك، ويالهُ من موقف تقشعر له الابدان، طفل لم يتجاوز السادسة من عمرهِ ينظر لقبر أبيهِ بالأمس وباليوم التالي يحفر قبر أمهُ.. فأخذ نبينا يحفر معها وهو يبكي في صحراء قاحلة وجو شديد الحرارة، تقول أم أيمن: كُنت أدير وجههُ عن أمهِ من شدة البكاء، فجلسنا أنا ومحمد وحفرنا القبر، ثم دفناها في ذلك المكان تقول أم أيمن: مسكتهُ من يدهِ لنذهب وهو يقول: أمي نأخذ أمي معنا ويردد أمي أمي؟ لماذا لم تلحق بنا لنأخذها، ويبكي وينظر وراءهُ على امل أن تلحق بنا.. تقول: فمشينا من الابواء الى

أن وصلنا مكة فتوجهت الى بيت عبد المطلب فطرقت الباب فإذا عبد المطلب يفتح لنا الباب ثم قال للنبي: أين أمك، فبكى النبي وهو يردد لقد ماتت ماتت فضمهُ عبد المطلب وقال له: أنت ابني أنت ابني..

وبعد سنين طويلة والرسول ﷺ، في طريقه لفتح مكة المكرمة تذكر ﷺ، تلك الاحداث الذي مر بها فأفضت عيناه، فقال لصحابتهِ الابرار هذا قبر أمي فوقف ﷺ، على قبرها فبكى بكاء شديد، فقال الصحابة رضي الله عنهم: والله ما بقي أحد وقف معهُ إلا أبكاه، وذات مرة زار قبرها ﷺ، وكان معهُ، ألفي فارس مقنع فقال لهم: "قفوا" أي انتظروا، يقول أبو هريرة ما رأيت رسول الله ﷺ، أشد بكاءاً من ذلك اليوم.

إنها آمنة بنت وهب، هي من أنجبت خير البشر ﷺ، صلوات ربي وسلامهِ عليه وعلى آله وصحبهِ أجمعين.

إلى جده العطوف:

عاد بهِ عبد المطلب إلى مكة، وكانت مشاعر الحنو في فؤادهِ تربو نحو حفيدهِ اليتيم، الذي أُصيب بمصاب جديد نكأ الجروح القديمة، فرق عليهِ رقةَ لم يُرقها على أحد من أولادهُ، فكان لا يدعهُ لوحدتهِ المفروضة، بل يؤاثرهُ على أولادهِ، قال ابن هشام: كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوهُ يجلسون حول فراشهِ ذلك حتى يخرج إليهِ، لا يجلس عليهَ أحدٍ من بنيهِ إجلالاً لهُ، فكان رسول الله ﷺ، يأتي وهو غُلام جفر حتى يجلس عليهِ، فيأخذهُ أعمامهُ ليؤخروه عنهُ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني هذا فو الله إن لهُ لشأناً، ثم يجلس معهُ على فراشهِ، ويمسح ظهرهُ بيدهِ ويسره ما يراه يصنع. ولثماني سنوات وشهرين وعشرة أيام من عمره ﷺ، توفى جده عبد المطلب بمكة، ورأى قبل وفاتهِ أنهُ يعُهد بكفالة حفيدهِ إلى عمهِ أبي طالب شقيق أبيهِ.

إلى عمهِ الشفيق:

ونهض أبو طالب بحق ابن أخيهِ على أكمل وجه، وضمهُ إلى ولدهُ، وقدمهُ عليهم، واختصهَ بفضل احترام وتقدير، وظل فوق أربعين سنة يعز جانبهِ، ويبسط عليهِ حمايتهِ، ويصادق ويخاصم من أجلهِ، وستأتي نبذه مختصرة من ذلك في مواضعها.

حرّب الفُجار:

ولخمس عشرة من عمرهِ ﷺ، كانت حرب الفجار بين قريش ومن معهم من كنانة وبين قيس عيلان، وكان قائد قريش وكنانة كلها حرب بن أمية لمكانتهِ فيهم سناً وشرفاً، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس. وسُميت بحرب الفجار لانتهاك حرُمات الحرُم والأشهر الحرُم فيها، وقد حضر هذه الحرب رسول الله ﷺ، وكان ينبل على عمومتهِ، أي يجهز لهم النبل للرمي.